عمارة بن حمزة

سيرته الذاتية وعلاقته بالسلطة العباسية

د. إدريس سليمان محمد(*)

١ـ مقدمة

شخصية عمارة بن حمزة تحمل في طياتِ سجل حياته ومفرداتها الكثير من التناقضات والازدواجية، وهذا ما شجعني على البحث والكتابة عن هذه الشخصية وعن أسباب وسر هذا التناقض، وقدره عمارة بن حمزة في المحافظة على التوازن بينهما وبين عمارة كمولى ليسير بنفسهِ إلى ساحل الأمان ويكون بتلك الصفات ذلك الرجل المعروف والمقدم لدى خلفاء الدولة العباسية والمتولي لبعض الأعمال المهمة لهم، ومن ثم يصل بعمارة ان يُضرب به المثل فقيل أتيه[١] من عمارة. ولأجل إعطاء الصورة الحقيقة عنه، التزمنا جانب الحيادية والمنهجية العلمية في البحث لتثبيت ماله وما عليه ولهذا كان الغالب على البحث الطابع القصصي دون التاريخي.

(*) جامعة الموصل / مركز دراسات الموصل

(١) (تاه) يتيه (تيهاً) تكبّرَ وهو أتيه الناس. وتاه في الأرض وتيهاً وتيهاناً، ذهب متحيراً وتيه نفسه بمعنى حيرها، الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر، مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت، ١٩٨٣، ص٨١.

٢- السيرة الذاتية لعمارة بن حمزة:

هو عمارة بن حمزة بن ميمون مولى بني العباس[٢]، وهو من ولد عكرمة مولى عبدالله بن عباس[٣]، وقيل هو عمارة بن حمزة بن مالك بن يزيد بن عبدالله بن يزيد بن عبدالله مولى العباس بن عبد المطلب[٤].

ولا نعلم تاريخ ولادة عمارة بن حمزة لعدم ورود ذكرها في المصادر، حتى تاريخ وفاته فقد اختلف فيه، فقد ذكر بعض المؤرخين أن وفاته كانت في سنة (١٦٠ هـ / ٧٧٦ م)، وهذا يتناقض مع الأحداث التاريخية التي سنذكرها[٥]، ولكن الراجح أنه توفي سنة (١٩٩ هـ / ٨١٤ م)[٦].

من المعالم الرئيسية في شخصية عمارة بن حمزة أنه كان أحد الكتاب البلغاء[٧]،وقد نال عمارة في بلاغته إعجاب الخليفة العباسي الأول أبو العباس

---

(٢) الثعلبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٦٥، ص٢٠١.

(٣) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تحقيق إحسان عباس، مطبعة الغريب، بيروت، ١٩٧٠، ٤/٣١. وانظر الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط٤، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٩، ٥/ ٣٦.

(٤) الخطيب البغدادي، أبو بكر احمد بن علي، تاريخ بغداد، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٢/ ٢٨٠.

(٥) البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين (أسماء المؤلفين وآثار المصنفين) طبعت بعناية وكالة المعارف الجليلة، مطبعة البهية، استنبول، ١٩٥١، طبعة أوفست، م ١/ ٧٧٩.

(٦) الاربلي، أبو محمد عبدالرحمن سنبط بن إبراهيم، خلاصة الذهب المسبوك، تحقيق مكي السيد جاسم، بغداد مكتبة المثنى، ١٩٦٤، ص١٩٧. علما بان العبارة وردت في الكتاب كالآتي: ودخلت سنة تسع ومائة واعتبرت ذلك خطأ مطبعي لأنه في ص١٩٦ يتحدث عن أحداث سنة ١٩٨ فاذا يقصد به دخول سنة ١٩٩هـ. وانظر كذلك ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢/ ١٦٤. والزركلي، الاعلام، ٥/ ٣٦.

(٧) الاربلي، المصدر السابق، ص١٩٧. وابن تغري بردي، المصدر السابق، ٢/ ١٦٤.

(١٣٢ ـ ١٣٦ هـ / ٧٤٩ ـ ٧٥٤ م) حيث سَمِعَهُ وهو يشكر الخليفة عندما رفع مجلِسَهُ واسنى جائزته وأمر له بجوهر نفيس، فقال عمارة وهو يثني للخليفة جزيل عطائهِ: (وصلك الله يا أمير المؤمنين وبَرَّكَ، فوالله لئن أردنا شكرك على صِلَتِكَ، إن الشكر منا لَيَقصُرُ عن نعمتك كما قصرنا عن منزلتك، غير ان الله جعل لك الفضل علينا ولم يحرمنا منك الزيادة لتقصير شكرنا) فأمر أبو العباسي ان يكتب هذا الكلام ويدون(٨). فلبلاغتهِ وفصاحته وكفايتهِ وفضلهِ كان الخلفاء العباسيون يحتملون أخلاقه ويولونه بعض الوظائف(٩).

ويعتبر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م) عمارة بن حمزة من الشعراء لكونه كان يجتمع مع أقرانه من الشعراء أمثال والِبة بن الحُباب (ت ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م) ويحيى بن زياد بن عبدالله ابن منظور الديلمي مولى بني اسدٍ (ت ٢٠٧ هـ/ ٨٢٢ م) وغيرهم ، كانوا يجتمعون على شرب الخمر وقول الشعر ويهجوا بعضهم بعضاً، وهذا دليل على اجادته للشعر(١٠)،ولهذا قال الخليفة العباسي محمد المهدي (١٥٨ ـ ١٦٩ هـ / ٧٧٥ ـ ٧٨٥ م) لعمارة بن حمزة يوماً من أرَقُّ الناس شعراً قال والِبة بن الحُباب(١١). قال صدقت ، فقال عمارة للمهدي فما منعك من

---

(٨) ابن بكار، الزبير، الاخبار الموفقيات، تحقيق سامي مكي العاني، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٢، ص١٩٠.

(٩) الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبدالله، معجم الأدباء، دار المستشرق، بيروت، ١٥/ ٢٤٢ وانظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤/ ٣٢.

(١٠) الشريف الرضي، علي بن الحسين الموسوي العلوي، امالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط ١، ١٩٥٤، ق ١/ ١٣١.

(١١) هو أبو أسامة والبه بن الحباب الاسدي الكوفي الشاعر الماجن المشهور، استاذ أبي نواس قال الأصفهاني، كان والبه ظريفاً شاعراً غزالاً للشرب والغلمان المرد، وشعره في غير ذلك مقارن ليس بالجيد. توفي والبه سنة (١٧٠هـ/ ٧٨٦م). انظر الأصفهاني، أبو الفرج، كتاب الأغاني، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، دار الثقافة بيروت، ١٩٥٩، م ١٨/ ٤٣.

منادمته يا أمير المؤمنين قال قوله[١٢]:

قلتَ لساقينا على خلـــوةٍ ادن كذا رأسك من رأسي

وادن وضع رأسك لي ساعة إني امروءٌ انكح جُلاسي

ولعمارة بن حمزة أيضاً شعر صالح من ذلك قوله[١٣]:

لا تشكو دهراً صححت بـه إن الغنى في صحةِ الجسم

هَبْكَ الامام لكنت منتفعـاً بغضارةِ[١٤]الدنيا مـع السُقم

وقال بعض المؤرخين والأدباء بلغاء الناس عشرة واعتبروا عمارة أحد هؤلاء العشرة مثال عبدالله بن المقفع، وخالد بن يزيد وآخرون[١٥].ولعمارة بن حمزة عدة تصانيف منها كتاب رسالة الخميس التي كانت تقرأ لبني العباس[١٦]، وله ديوان رسائل والرسالة الماهانية[١٧].

لقد اجتمع عند عمارة بن حمزة صفات متباينة قلما تجتمع في إنسان واحد،

---

(١٢) التوحيدي، أبو حيان، البصائر والذخائر، تحقيق إبراهيم الكيلاني، دمشق، مطبعة الإنشاء، ١٩٦٤، م ١/ ١٨٤.

(١٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٣، دار المعارف، مصر، ٦/ ١٨٣. الجهشياري، أبو عبدالله محمد بن عبدوس، الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي، ط ١، القاهرة، مطبعة مصطفى بابي الحلبي، ١٩٣٨، ص١٣٤.

(١٤) الغضارة: النعمة والسعة وطيب العيش ويريد عمارة أن يقول ان لا نعمة يتهنى بها الإنسان مع السقم.

(١٥) الحموي، معجم الأدباء، ١٥/ ٢٤٢.

(١٦) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤/ ٣٢. ان هذه الرسالة مما احتفظ به ابن طيفور في كتابه المنظوم والمنثور، وهي رسائل كان التنظيم العباسي يرسلها كل خميس من خراسان إلى العراق- بغداد، ولم يشر صاحب كتاب رسائل البلغاء، محمد كرد علي، ط ٤، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٤ إلى ماهية هذه الرسائل.

(١٧) الزركلي، الأعلام، ٥/ ٣٧.

وربما كان ذلك سرُّ اشتهارهِ، لقد كان فيه تيهٌ شديد يضرب به المثل حتى انه كان يقال: (أتيه من عمارة !)[١٨]، وله في التيه[١٩] حكايات كثيرة وغريبة، منها انه كان تيهه إذا اخطأ يمضي على خطئه تكبراً عن الرجوع ويقول: (نقضٌ وإبرام في ساعة واحدة ! الخطأ أهون عليّ من هذا)[٢٠] إن هذا هو الكبرُ الصادر عن الجهل كما يقول أبو حيان التوحيدي (ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) ويضيف كأن عمارة بن حمزة لم يسمع قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو سيد الحكماء (الرجوع إلى الحق أولى من التمادي في الباطل، وما في نقض وإبرام في ساعة واحدة لمن لا يعلم الغيب، ولا يعدم العيب والخطأ منه عادة والصواب منه هفوة، انه لو علم نفسهُ لعلم نقصَهُ)[٢١].

وبسبب هذا التيه الذي عند عمارة وعُجبَهُ بنفسه كرهَهُ أهل البصرة كما يقول ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٦ م)[٢٢]، ولربما جاء كرههم له من كونه كان يتولى خراج البصرة[٢٣]. ولهذا رفع أهل البصرة ضد عمارة شكاية إتهموه باختلاس أموال الدولة، فتحقق الخليفة العباس المهدي عن ذلك منه، فقال عمارة: والله يا أمير المؤمنين لو كانت هذه الأموال التي يذكرونها في جانب

---

(١٨) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٢/ ٢٨٠. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢/ ١٦٤.

(١٩) أي في الكبر والتكبر وتاه يعني تكبر وهو اتيه الناس.

(٢٠) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص١٣٤. الثعالبي، ثمار القلوب، ص٢٠١. النويري، شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب، نهاية الارب في فنون الأدب، نسخة مصورة عن مطبعة دار الكتب، مطابع كوستاتوماس، القاهرة، ٣/ ٣٧٤.

(٢١) التوحيدي، أبو حيان، البصائر والذخائر، م١/ ٤٢٥.

(٢٢) الحموي، معجم الأدباء، ١٥/ ٢٤٩.

(٢٣) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص١٢٤. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الملقب بعزالدين، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥، ٦/ ٣٦.

بيتي ما نظرت إليه: فشهد المهدي لصدقه ولم يُراجعه فيها[٢٤]. وجود عمارة بن حمزة وكرمه يشيد عليه بذلك والذي نتحدث عنه لاحقاً.

كان الذي يُعنب عليه عُمارة هو تيهه وكبرُه وإعجابه بنفسه، وما كان كذلك كما نرى ويتبين لنا إلا لكونه كان ذميماً ولربّما في خُلقهِ أو قبحٌ في منظره، ولهذا كان الخليفة أبو جعفر المنصور والمهدي بعده يقدمانه ويحتملان أخلاقه لفضله وبلاغته ووجوب حقه[٢٥]، أضف إلى ذلك انه كان اعور العين[٢٦]، إلى جانب كونه ذميماً فلهذا قال فيه أهل البصرة:

أراك وما ترى إلا بعين   وعينك لا ترى إلا قليلا
وأنت إذا نظرت بملء عين   فخذ من عينك الأخرى كفيلا
كأني قد رأيتك بعد شهر   ببطن الكفّ تلتمسُ السبيلا[٢٧]

إن لعاهة العور والمذمّة التي ابتلي بهما عمارة في اعتقادنا كان له الأثر الكبير في نفسيته والذي انعكس بشكل واضح في سلوكه وهذا من الأمور الثابتة عند علماء النفس حيث أن الشعور بالنقص ينعكس على التصرفات والسلوك فيعمل صاحبهُ على تعويض ذلك النقص بالكبر وغيره، ولذلك نجد عمارة بن حمزة عندما كان يختلي بنفسه في داره يجعل وجهه إلى الحائط[٢٨]، وكان كما يقول ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) من شدة تيهه لا يقعد إلا كذلك[٢٩]، وإذا ما دخل عليه

---

(٢٤) الحموي، معجم الأدباء ١٥/ ٢٤٩.

(٢٥) المصدر نفسه، ١٥/٢٤٢.

(٢٦) ابن النديم، الفهرست دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٨، ص١٧١.

(٢٧) الحموي، معجم الأدباء ١٥/ ٢٤٨.

(٢٨) الاربلي، خلاصة الذهب المسبوك، ص١٩٧.

(٢٩) وفيات الأعيان، ٤/ ٣٠.

أحد لمقابلته لا يُقبل عليه ويكلمه وهو متجهٌ إلى الحائط، وإذا سَلم عليه رد سلامه رداً ضعيفاً[٣٠]، ولكن تراه يستمع لطلبه دون أن يشعر المقابل أنه قد أعار له أهمية لاعراضه عنه ولا يُجبْهُ في حينه، ثم وإذا به يسعِفُ صاحب ذلك الطلب بأقصى ما يستطيع بعد ذلك[٣١]. ولهذا كانت نَخوة عمارة وتيهه يتواصَفان ويَستشرفان أي يُتحدث بوصافتهما وجودتهما وحُسنهما ولكن كانا يُنسبان إلى الإسراف لمجاوزتهما حدّ الاعتدال، فأراد أبو جعفر المنصور يوماً أن يتأكد عن حقيقة ذلك، لهذا أمَرَ بعض الخدم أن يقطعوا حمائل سيف عمارة قبل أن يقوم للخروج من عنده لينظر أيأخذه أم يتركه؟ فلما قطع حمائل سيفه وسقط السيف مضى عمارة لوجهه ولم يلتفت إليه[٣٢]، وكأنه أدرك المقصود.

أما ما يتعلق بنخوة عمارة فقد كان سخيا سريا[٣٣]، جليل القدر، رفيع النفس، كثير المحاسن مع شدة التنزه، وكان خلفاء بني العباس يعرفوه بذلك، ولهذا عندما جرى بين أبو العباس وبين زوجته أم سلمة المخزومية كلام فاخرته فيه بأهلها، فقال لها أبو العباس سأحضر لك الساعة على غير استعداد مولى من موالي ليس في اهلك مثله، فلما أمر أبو العباس إحضار عمارة على الحال والهيئة التي هو عليها حال إحضاره أمامه، حاول عمارة أن ينتهز وقتا ولو قصيرا من أجل تغيير في زيه فلم يدع الرسول له اي فرصة لذلك، فأحضره أمام الخليفة على هيئته، وأم سلمة تراقب الموقف خلف الستر، فدخل عمارة في ثيابه الممسكة ولحيته الملطخة بأنواع

---

(٣٠) ابن الأثير، الكامل، ٦/ ١٥.

(٣١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٢/ ١٥.

(٣٢) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص١٣٣. الثعالبي، ثمار القلوب، ص٢٠٢. الحمري، معجم الأدباء، ١٥/ ٢٤٥.

(٣٣) السرو: أي سخاء في مروءة وجمعه سراة. انظر الرازي، مختار الصحاح، ص٢٩٧.

الطيب، أي وكأنه قد تهيأ للأمر! فأخرجت أم سلمة إليه عقدا كان له قيمة جليلة وقالت للخادم أعلمه أنني أهديته له[٣٤]. فاخذ عمارة الهدية وشكرهم عليها، ولكن عندما انصرف عن المجلس ترك العقد بين يدي أبا العباس، فقالت أم سلمة لأبي العباس انما أنسيه، فأمر أبو العباس أن يلحق به ويعطي ما أهدي له من قبل أم سلمة، فقال للرسول ما هو لي فاردده، فلما اعلمه ان ذلك أمر الخليفة، فقال إن كنت صادقا فهو لك، فانصرف الخادم بالعقد وعرفهم بموقف عمارة، وامتنع من رد العقد الذي أهداه له عمارة إلى أم سلمة فاشترته منه بعشرة آلاف دينار، فتعجبت كثيرا من كبر نفس عمارة[٣٥]، وان موضع الفخر في عمارة هبته العقد على غلو ثمنه للخادم.

وفي علو قدره وثقته بنفسه والتمسك بها، يروى ان عمارة كان يوما يمشي مع المهدي أيام خلافة المنصور ويده قد امسك يد ولي العهد لذلك سأله رجل من هذا يا سيدي؟ قال أخي وابن عمي عمارة بن حمزة. فلما ولى الرجل قال عمارة للمهدي (انما انتظرت ان تقول مولاي، فانفض والله يدي من يدك فضحك المهدي)[٣٦]، ويروى كذلك انه دخل يوما على المهدي فأعظمه وأكرمه، ولما انصرف قال جلساء المهدي وكانوا من أهل المدينة من القرشيين: (من هذا الذي اعظمته كل هذا الاعظام يا أمير المؤمنين) قال عمارة بن حمزة مولاي، سمع عمارة كلام المهدي فرجع، فقال (يا أمير المؤمنين جعلتني كبعض خبازيك وفراشيك، افلا قلت عمارة

(٣٤) وكانت أم سلمة تريد أن توقع عمارة في الاختبار لكي تفوز هي بالحوار والنقاش الذي حصل بينها وبين أبي العباس.

(٣٥) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص٩٠-٩١. الثعالبي، ثمار القلوب، ص٢٠١-٢٠٢.

(٣٦) الثعالبي، ثمار القلوب، ص٢٠٢. الحموي، معجم الأدباء، ١٥/ ٢٤٦.

بن حمزة بن ميمون مولى عبدالله بن عباس ليعرف الناس مكاني)[٣٧].

كان عمارة من المحافظين على أنفته وعلو قدره مهما دارت به الأيام، فقد ذكر انه عند مرضه اضطر إلى بيع فرشه وكسوته، فلما علم الخليفة المهدي بما حل بمولاه عمارة، قال غفلنا عنه، وما كنت أظن انه قد بلغ هذا المبلغ، فأمر له بخمسمائة ألف درهم وإن له عند الخليفة ما يحب، فلما حمل الفضل بن الربيع إلى عمارة ما أمر له الخليفة، قال عمارة للفضل وكان الفضل من الملازمين لعمارة، (قد طال لزومك لنا، وكنت احب أن أكافئك عليها ولم أتمكن قبل هذا، والآن انصرف بالمبلغ فهي لك). وكان سبب ملازمه الفضل لعمارة هو تنفيذ أوامر والده الربيع، لقول الفضل كان أبي يأمرني بملازمة عمارة[٣٨]. وربما كان معجبا بعمارة فأراد لولده الفضل أن يتعلم منه الكرم والنزاهة والأنفة.

لقد تأثر بعمارة وصفاته الكثير ممن تعاملوا معه وعاشروه فقد قيل للفضل بن يحيى البرمكي ما أحسن كرمك لولا تيه فيك، فقال كلاهما: الكرم والتيه تعلمته من عمارة بن حمزة لما رأيتهما فيه، عندما طولب أبي (بمليون درهم) من قبل المهدي على اثر انكسار كور فارس عليه بعد أن ضمنه فحمل هذا المبلغ. ولم يكن بمقدور يحيى البرمكي حينها إيفاءها، فطلب من أبنائه أن يستعينوا بعمارة ويقترضوا منه المبلغ لحين اليسرة، فمضى ابنه الفضل إلى عمارة، فوجده كعادته متوجها إلى الحائط فابلغ رسالة أبيه بعد أن سلم عليه، فلم يجب عمارة الفضل بشيء سوى قوله له حتى ننظر، خرج الفضل من عند عمارة وهو نادم على قدومه ومعاتبا أباه على ما كلفه اذلال نفسه بما لا فائدة منه، ولما وصل الفضل البيت يقول: وجدت عمارة

---

(٣٧) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص١٤٧. الحموي، معجم الأدباء، ١٥ / ٢٥٧.

(٣٨) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢٨١/١٢. الاربلي، خلاصة الذهب المسبوك، ص١٩٨.

قد أرسل المبلغ الذي طلبته منه، ولما عاد أبي للولاية كما يروي الفضل، جمعنا المال فجئت به ودخلت عليه وشكرت له إحسانه وعرفته بوصول ما أخذناه منه، غضب عمارة وقال: (ويحك أقسطارا كنت لأبيك (أي صرافا) اخرج عني هو لك) فخرجت ورددت المال إلى أبي وعجبنا من حاله فتشبهت به حتى صار خلقا لي لا أستطيع مفارقته(٣٩).

هكذا كان فعلا كرم ونخوة عمارة وتيهه يتجاوزان حد الاعتدال ولهذا كان يضرب به المثل، فرغم التيه والكبر الذي كان يتصف بها عمارة فانه كان في نفس الوقت جوادا كريما وصاحب إحسان وفضل على الآخرين مع إحساسه العالي بالإنسانية وكان كما لا يقبل الذل على نفسه كذلك لا يقبله على غيره، فذكر انه لما استأذن قوم على عمارة بن حمزة يشفعون إليه في مساعدة قوم قد أصابهم شدة وضيق في المال، فلما اخبره حاجبه بذلك أمر لهم بمائة ألف درهم، فاجتمعوا ليدخلوا إليه ليشكروه على إحسانه وفضله هذا، فقال لحاجبه ابلغهم سلامي وقل لهم: (إني رفعت عنهم ذل المسئلة فلا احملهم مؤنة الشكر)(٤٠). أي إنني لبيت حاجتهم قبل أن يدخلوا إلي ويسئلوني بها لأرفع عنهم ذل السؤال فكيف احملهم منة الشكر. في هذا يرتقي عمارة أعلى درجات الجود والإحسان لمراعاته الجانب الخلقي والإنساني والديني في حفظه كرامة وإحساس الآخرين من الذل. هكذا يذوب ويتلاشى الكبر والتيه وعدم المبالاة عند الحس المرهف لدى عمارة ويتحول إلى إنسان كله الخير للآخرين وإسعادهم والجود بكل ما يملك.

---

(٣٩) الحموي، معجم الأدباء، ١٥ / ٢٥١. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤/ ٣٠-٣١.

(٤٠) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢/ ٢٨٠. الاربلي، المصدر السابق، ص١٩٧.

لهذا كله يقول عمارة: (يخبز في داري ألفا رغيف في كل يوم، يؤكل منها ألف وتسعمائة وتسعة وتسعون رغيفا حلالا وآكل منها رغيفا واحدا حراما واستغفر الله)[٤١] أي ان ما يأكله الضيف والفقير يعتبره حلالا لان هذا ما يبغيه، ويعتبر رغيفه الذي يأكله حراما وكأنه في هذا يتمنى أن يؤكل ذلك أيضا في سبيل الله لأنه يرى نفسه بأكله ذلك الرغيف قد بخل به، ولهذا إذا أكل الرغيف استغفر الله خوف أن يكون فيه مطمع من غيره، ليس هذا فحسب بل كان يتعجب من قول الناس، فلان رب الدار بل كان يقول إنما هو كلب الدار[٤٢]. أي هو حارس لما أمنه الله عليه من الأموال ليعطيه لمستحقيه وبذلك يكون أمينا على ما اؤتمن.

وقد لخص أحد الشعراء صفات عمارة بن حمزة في عدة أبيات من شعره وثني فيه على وفاء وإخلاص وود عمارة واعتبر الكرم عنده في النائبات إذا نزلت بالناس من البديهيات ولهذا يوصي غيره بالتمسك به والاعتماد عليه لأنه لا يغدر بعهده ولا بصاحبه وانه يعفو عن المسيئين له ولا يؤاخذهم عليها ويقابليا بالإحسان فقال[٤٣]:

بلوت وجربت الرجال بخبرة وعلم ولا ينبيك عنهم كخابر
فلم أرى أحرى من عمارة فيهم بود ولا أوفى بجار مجاور
واكرم عند النائبات بداهة إذا نزلت بالناس إحدى الدوائر
تمسك بحبل من عمارة واعتصم بركن وفي وعهده غير غادر
كأن الذي ينتابه عن جناية يمت بقربى عنده واواصر

(٤١) الجهشياري، المصدر السابق، ص٩١. الحموي، معجم الأدباء، ١٥ / ٢٤٤- ٢٤٥.

(٤٢) الجهشياري، المصدر السابق والصفحة. الحموي، المصدر السابق، ١٥/ ٢٤٥.

(٤٣) الحموي، معجم الأدباء، ١٥ / ٢٤٨- ٢٤٩.

فنعم معاذ المستجير ومنزل الـ   كريم ومثوي كل عان وزائـــر

عمارة بن حمزة والسلطة العباسية:

كان لعمارة بن حمزة كما ذكرنا مكانه كبيرة عند خلفاء بني العباس[٤٤]،فقد كان خاصا بأبي العباس وأبي جعفر المنصور لتولي الدواوين لهما[٤٥]،كما وانه تولى للمنصور ولولده المهدي الأعمال والوظائف العدة[٤٦] التي سنذكرها، فقد قلده أبو العباس ضياع مروان وآل مروان[٤٧]، خلا ضياع عمر بن عبد العزيز لكونها لم تقبض وضياع من والاهم وساعدهم[٤٨]. وقلد كذلك الخليفة أبو جعفر المنصور عمارة بن حمزة ديوان (خراج البصرة) ونواحيها سنة (١٥٥ هـ / ٧٧١ م)[٤٩]، وقلده أيضا في سنة (١٥٨ هـ / ٧٧٤ م) الخراج بكور[٥٠] دجلة والاحواز، وكورفارس، وتوفي المنصور وعمارة يتقلد هذه الكور[٥١].

يذكر ابن الأثير(ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) ان في سنة (١٥٦ هـ / ٧٧٢ م) كان على كور دجلة والاحواز وفارس عمارة بن حمزة وفي سنة (١٥٨هـ/٧٧٤ م)

---

(٤٤) الجهشياري، المصدر السابق، ص١٤٧. الثعالبي، ثمار القلوب، ص٢٠١- ٢٠٢ .

(٤٥) الثعالبي، ثمار القلوب، ص٢٠١.

(٤٦) ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ٤ / ٣٢.

(٤٧) الجهشياري، المصدر السابق، ص٩٠

(٤٨) الحموي، معجم الأدباء، ١٥ / ٢٤٢ ـ ٢٤٣

(٤٩) الجهشياري، الوزراء الكتاب، ص١٢٤.

(٥٠) كور دجلة: إذا أطلق هذا الاسم فإنما يراد به أعمال البصرة ما بين ميسان إلى البحر كله يقال له كور دجلة وكور بالفتح ثم السكون والكور يعني الإبل العظيمة. انظر الحموي، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، م ٤ / ٤٨٩.

(٥١) الجهشياري، الوزراء الكتاب، ص١٣٤. والحموي، معجم الأدباء، ١٥ / ٢٤٦ ـ ٢٤٧ .

كان على خراج البصرة وأرضها أيضا(٥٢). وقلد المهدي عمارة بن حمزة الخراج بالبصرة، وكتب إليه أن يضم إليه الأحداث أي قلده ما تجدد من النواحي من حيث إدارة شؤونها مضافة إلى الخراج(٥٣)، ولما جعل المهدي الأحداث لعمارة بن حمزة ولاها عمارة لمن يثق به وهو السور بن عبد الله الباهلي(٥٤).

كان عمارة من المقربين لدى خلفاء بني العباس، أبو العباس، وأبو جعفر المنصور وكان محل ثقتهم وبمثابة المستشار لهم، فيذكر لنا عمارة انه انصرف ذات يوم من عند أبي جعفر المنصور إلى منزله بعد أن تمت البيعة للمهدي بولاية العهد، فيقول عمارة ما ان وصلت المنزل حتى جاءني المهدي وقال لي: (بلغني ان أمير المؤمنين قد عزم على أن يبايع لأخي جعفر بالعهد بعدي، وإني والله لان فعلها لا قتلنه) أي يقتل أخيه ولما انصرف المهدي مضى عمارة حالا إلى الخليفة أبو جعفر واعلمه بالذي جرى بينه وبين المهدي، قال له الخليفة: (نحن أشفق عليه من أن نعرضه له)(٥٥). وهذا الذي حصل يؤكد لنا كون عمارة من خاصة الخليفة أبو جعفر المنصور ومن مستشاريه لكونه يسره بمثل هذه الأمور المهمة وهو من أسرار البيت العباسي، وحرص عمارة على إبلاغ ما جرى للخليفة دليل أيضا على حرص عمارة لتماسك البيت العباسي أولا وكونه المستشار الأمين ثم في نفس الوقت أراد عمارة أن يحافظ على حسن ظن الخلافة به خوف أن يكون نوع من أنواع الاختبار له، ليس هذا فحسب بل ان لجوء المهدي لعمارة بن حمزة دون غيره

---

(٥٢) الكامل في التاريخ، ٦ / ١٢، ٣٦.

(٥٣) الحموي، معجم الأدباء، ١٥ / ٢٤٨.

(٥٤) ابن الأثير، الكامل، ٦ / ٤٠. وانظر ابن خلدون، كتاب العبر، دار الكتاب للطباعة والنشر، ١٩٥٨، ٣ / ٤٤٠. ورد اسم الذي تولى الأحداث من قبل عمارة السود.

(٥٥) الحموي، معجم الأدباء، ١٥ / ٢٤٦.

من المقربين للخليفة للاستفسار عن مثل هذه الأمور المهمة الخاصة يوضح ويؤكد لنا بأن عمارة كان أمين سر الخليفة.

وبحكم ما أسلفنا من العلاقة الوثيقة بين الخلافة وعمارة فقد كان يقوم بمهمة مرافقة الوفود والرسل القادمة للخليفة، فقد رافق عمارة رسول إمبراطور الروم عند وصوله بغداد في عهد الخليفة أبو جعفر المنصور(٥٦) وخلال تجواله فيها وعبوره إلى الرصافة حيث ولي العهد المهدي هناك، وكان خلال هذه المرافقة يجيب على أسئلة الضيف واستفساراته ولكنه بعد الوصول عند المهدي اخبر عمارة بكل ما دار بينه وبين الرسول من حديث واعلمه بنوع الأسئلة التي استفسر عنها رسول إمبراطور الروم، لما كان لهذه الأسئلة من أهمية كما رآها عمارة ولهذا وجد من الضروري اطلاع ولي العهد على استفسارات هذا الرسول لما قد يحمل هذه الاستفسارات والأسئلة من أبعاد سياسية واقتصادية، لأنه كان من بين هذه الأسئلة التي طرحها هذا الضيف وهم في طريقهم إلى الرصافة هو سؤاله عن سبب تسول ذوي العاهة في الطرقات وتصدقهم، وبعد هذا السؤال عقب الرسول مباشرة عن سؤله وأجاب نفسه بنفسه، قائلا: (كان ينبغي للخليفة أن يرحم هؤلاء لعاهتهم ويكفهم وأنفسهم وعيالهم ولا يحمل عليهم الفقر والحاجة مع العاهة) ومثل هذه الأسئلة ومن قبل رسول إمبراطور الروم آنذاك يحمل معاني وأهداف عديدة، ولهذا كان لابد لعمارة من أخبار ولي العهد ما دار بينه وبين الرسول ليكون على علم وليجيبه بما يراه مناسبا لسؤاله وقصده ولهذا قال له المهدي: (ليس الأمر كذلك، الأموال كثيرة وتكفيهم ولكن أمير المؤمنين يكره أن يستأثر على أحد من رعيته وأهل سلطانه بشيء من الفضل في الدنيا، ويحب أن يشكروه في ثواب السؤال

---

(٥٦) لم يذكر ابن بكار عند ذكر هذه القصة تاريخ وسنة الحادث.

والعاهة وان يسألوهم من ذات أيديهم، وما أعطاهم الله من الرزق ليكون نجاة لهم في أخرتهم وسعة عليهم في دنياهم وتمحيصا لذنوبهم)[٥٧].

وكانت علاقة عمارة بن حمزة بالخلافة العباسية يعتريها أحيانا بعض الفتور لأسباب كثيرة، ولهذا نجد أبو جعفر المنصور ينكر على عمارة في وقت من الأوقات شيئا فيبعده إلى الكوفة في عمله الإداري[٥٨]، ونجد كذلك عمارة في خلافة المهدي يضطر إلى بيع حاجيات بيته على اثر مرض يصيبه، ولما علم الخليفة ما حل به الدهر أمر له بمبلغ من المال، واعتذر له عن انشغال الخلافة عنه، ورغم ذلك وكما ذكرنا فان عزة نفس عمارة جعلته يرفض ما قدم من قبل الخليفة وأهداه لفضل بن الربيع حاجب الخليفة الذي أتى بالمال إليه قائلا له: (قد كان طال لزومك لنا وقد كنا نحب أن نكافئك على ذلك، ولم يمكنا قبل هذا الوقت انصرف فهي لك)[٥٩]. ولم ينتهي الأمر بانشغال الخليفة المهدي عن عمارة بل يصل الأمر أن يتجرأ موسى الهادي (ابن الخليفة المهدي) ويتخطى كل ما كان لعمارة من مكانه وخصوصية لدى الخلفاء العباسيين، فيقوم الهادي بمراسلة بنت عمارة وهي كارهة لما حصل، فلما أعلمت والدها بذلك، طلب عمارة من ابنته ان تستدرج الهادي للحضور عندهم، فلما حضر خرج إليه عمارة وقال له: (يا أيها الأمير اتخذناك ولي عهد فينا وليس فحلا لنسائنا) فكان هذا توبيخا من قبل عمارة لموسى الهادي ومن حينها بقي اثر ذلك في قلب الهادي وحملها على عمارة، فلما تولى الهادي الخلافة دس إليه رجلا ادعى ان عمارة قد غصب ضيعته والمعروفة لدى عمارة

---

(٥٧) ابن بكار، الأخبار الموفقيات، ص٦٩.

(٥٨) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص١٠٩.

(٥٩) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٢/ ٢٨١. الاربلي، خلاصة الذهب المسبوك، ص١٩٨.

وذات قيمة كبيرة عنده، فبينما هو جالس ذات يوم مع الهادي في مجلس للمظالم وهو يتصدر الجلسة مع الخليفة، جاء الرجل وتظلم عند الهادي من عمارة،[٦٠] فطلب الهادي من عمارة أن يقف إلى جانب خصمه وأراد بذلك إهانته لان الأمر مدبر، ولكن عمارة كما سبق وان أوضحنا عزيز النفس ويمتاز بالحكمة، فقال عمارة اني وهبته الضيعة إن كانت له أو لي ولا أساوي هذا في مجلس شرفني بها أمير المؤمنين لأقوم منه واقف إلى جانبه، ثم انصرف من فوره. بعدما وجد ذلك المعاملة من قبل الخلافة تجاهه[٦١].

هذا ما وفقني الله له، راجيا العلي القدير أن أكون قد أعطيت الموضوع حقه والله ولي التوفيق والشكر له أولا وآخرا.

---

(٦٠) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص١٤٧-١٤٨.

(٦١) الحموي، معجم الأدباء، ١٥/ ٢٤٨.